تسلية النبي ﷺ والمؤمنين في ضوء سورة الفرقان

"دراسة استقرائية استنباطية"

Entertaining the Prophet Muhammad and the believers in the light of Surat Al-Furqan "Inductive and deductive study"

□

إعداد

د/ سلطان بن صغير بن نايف العنزي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك في قسم الدراسات الإسلامية بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية في جامعة الحدود الشمالية - السعودية

تسلية النبي ﷺ والمؤمنين في ضوء سورة الفرقان
"دراسة استقرائية استنباطية"

سلطان بن صغير بن نايف العنزي
قسم التفسير وعلوم القرآن في قسم الدراسات الإسلامية بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية في جامعة الحدود الشمالية – السعودية
البريد الإلكتروني: dr.sultan2950@gmail.com

الملخص:

فكرة البحث الرئيسية: بيان مظاهر تسلية الله ﷻ لنبيه ﷺ والمؤمنين الواردة في سورة الفرقان، وتكمن **أهمية البحث** في معالجة أحد قضايا المسلمين العامة من خلال إبراز مقصد من مقاصد القرآن الكريم، وهو تسلية النبي ﷺ والمؤمنين في بداية الإسلام، بما يمثل تسلية لمن بعدهم من أهل الإسلام إلى يوم القيامة، وتتمثل **إشكالية البحث** في كون المسلمين قد تشتد عليهم الغربة في آخر الزمان، ويتكالب عليهم الأعداء، فهم بحاجة عظيمة للهدايات القرآنية التي من شأنها أن تزيد إيمانهم، وتحثهم على التمسك بدينهم، **ويهدف البحث** إلى إبراز تلك المظاهر والهدايات وبيان الآيات الدالة عليها، واستنباط وجه التسلية والمواساة في تلك الآيات، واقتضت طبيعة البحث أن **أسلك المنهج** الاستقرائي الاستنباطي، **ومن أبرز نتائج البحث:** أن مظاهر تسلية النبي ﷺ والمؤمنين متعددة، وأعظمها: تدبر الآيات الواردة في بيان ما لله تعالى من أسماء حسنى، وصفات عُلى؛ وأن الألفاظ التي استعملها المفسرون هنا: التسلية والسلوة والمواساة والتعزية، وأن أكثر المفسرين إشارةً إلى ذلك: هو الطاهر ابن عاشور رحمه الله، **ويوصي الباحث** بدراسة مظاهر التسلية القرآنية الواردة في قصص الأنبياء عليهم السلام.

- **الكلمات المفتاحية:** سورة الفرقان، التسلية، السلوة، المواساة، التعزية.

Entertaining the Prophet Muhammad and the believers in the light of Surat Al-Furqan "Inductive and deductive study"

Sultan bin Sughayyir Bin Naif Alanazi
Department of Interpretation and Qur'anic Sciences in the Department of Islamic Studies, College of Humanities and Social Sciences, Northern Border University - Saudi Arabia
Email :dr.sultan2950@gmail.com

Abstract

The study examines the manifestations of Consolation for the Prophet Muhammad and for Muslims In Surat Al-Furqan, The importance of research in addressing a general Muslim issue is demonstrated, By highlighting one of the purposes of the Holy Koran, He is the Quranic condolence, The importance of the study lies Muslims need means of steadfastness in religion and increasing faith, The purpose of the research is to highlight these manifestations and gifts and to indicate the verses indicative thereof, and to devise the direction of entertainment and sympathy in those verses, The nature of the research required that I take the extractive inductive approach, He highlighted the researcher's findings: The kinds of condolences and condolences are multiple in the Quran, The greatest of them is manipulation and consideration of God's great names and qualities, Used words are amusement, slavery, comfort and condolences, The Most Koranic Interpreter: Tahir Ibn Ashour, The researcher recommends studying the manifestations of Quranic amusement in the prophets' stories of peace.

Keywords: The Quran, Amusement, Consolation, Comfort, Condolences.

مُقَدِّمَة

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، الذي أنزل كتابه المبين، هدى ورحمة وبشرى وتسلية للمؤمنين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ظهير ولا معين، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله الأمين، المصطفى من أطهر سلالة، المجتبى للوحي والرسالة، فجاهد في الله حق جهاده، وبلغ البلاغ المبين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد، فمنذ أن صدح الوحي في غار حراء، أُلقي على كاهل رسولنا الكريم ﷺ قولاً ثقيلاً، وحِملاً جليلاً، إن كاد لينوء بظهره الشريف ﷺ ، لولا أن منّ الله تعالى عليه وأحاطه بعنايته وحفظه، وأمده بعونه، فحِمْل الوحي والنبوة حمل ثقيل بلاشك، فكيف إذا انضم إليه واجبُ البلاغ، ومهمة الرسالة، والجهر بالدعوة إليه، والتصريح بالإيمان، وإعلان كلمة التوحيد، وبطلان عبادة كل معبود سوى الله ﷻ ؟!

ففي ذلك استعداد لمفارقة القريب، ومعاداة البعيد، وتأهب لمناكفة شديدة، وحرب ضروس، وتربص خطير؛ وهذا ما حصل لنبينا ﷺ والثلة المؤمنين معه في بداية الإسلام، فمنذ أن دعا ﷺ قومه على الصفا، وقام بالنذارة، وصرح لهم بأنه رسول الله إليهم حقاً، ناصبوه العداء، وكادوا لأصحابه أشد الكيد، ومكروا بهم مكراً كباراً، فأُخيف رسول الله ﷺ وصحابته في الله، وما يخاف في الله أحد، وأُذوا في الله أشد الإيذاء، وقوطعوا وحوصروا في الشِّعب، وأكلوا الشجر من الجوع.

وفي هذه الأحيان العصيبة، كان القرآن العظيم ينزل عليهم، فيثبت قلوبهم، ويقوي عزائمهم، ويربط على أفئدتهم، ويسليهم أعظم تسلية.

وهذه الظروف لم تكن فترةً عارضة في تاريخ الإسلام والمسلمين، مرت وانقضت ولن تتكرر، كلا، بل هي نسبيةٌ زمانا ومكانا، فتكثر أحياناً

وتقل أحياناً، لا سيما إذا استحضر المسلم قول النبي ﷺ: «بدأ الإسلام غريباً، وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء»[(١)]، فالمسلمون بحاجة ماسة لأن يُبين لهم كيف سلّى الله سبحانه في كتابه تلك الثلة المباركة في بداية الإسلام؟! فتحملت أعباء الدعوة، وقامت بدين الإسلام حق القيام، ونشرته في أصقاع المعمورة، فكانت مثالاً يحتذى للمسلمين من بعدهم إلى قيام الساعة.

من هذا المنطلق: استخرت الله ﷻ في الكتابة في هذا الموضوع، ودراسة الآيات الواردة فيه، ونظراً لكثرتها في القرآن الكريم، اقتصرت على سورة واحدة تجلت فيها مظاهر التسلية والمواساة، وهي سورة الفرقان، وجعلت عنوانه: **(تسلية النبي ﷺ والمؤمنين، في ضوء سورة الفرقان "دراسة استقرائية استنباطية")**.

سائلاً اللطيف المجيد أن يمن عليّ بالإعانة والتسديد، وأن يعصمني من الزلل في القول والعمل، إنه خير مأمول وأكرم مسؤول؛ وصلى الله وسلم على نبينا محمد وصحبه أجمعين.

أهمية البحث:

تظهر أهمية البحث في النقاط الآتية:

١. حاجة المسلمين الماسة للدعوة إلى التمسك بكتاب الله ﷻ والرجوع إليه في معالجة قضاياهم العامة والخاصة.
٢. فيه إبراز لمقصد من مقاصد القرآن الكريم، وهو تسلية النبي ﷺ والمؤمنين في بداية الإسلام، بما يمثل تسلية لمن بعدهم من أهل الإسلام إلى يوم القيامة.

(١) رواه مسلم في "صحيحه" (١/٩٠) رقم (١٤٥) كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا.

٣. فيه إبراز لوجه من وجوه إعجاز القرآن، وهو صلاحيته لكل زمان ومكان، إذ يخاطب المؤمنين في أول الإسلام، بما يصلح أعظم الصلاحية للمؤمنين في آخر الزمان، حتى لَكأنه أنزل إليهم ساعتئذٍ.

أسباب دراسته:

١. التعبد لله ﷻ في العيش مع كتابه الكريم، بتدبر سورة من سوره، واستخلاص الحِكم والدروس والعبر.
٢. الإسهام في نشر ما فيه تخفيفٌ لأعباء الدعوة على المؤمنين، لاسيما وأننا في آخر الزمان، وذلك بدراسة سورة عظيمة من سور القرآن الكريم.
٣. بيان عظيم اعتناء الله ﷻ بعباده المؤمنين، إذ أنزل عليهم ما يسليهم ويربط على قلوبهم، ويصلح شؤونهم في كل زمان ومكان.
٤. حاجة المجتمع الإسلامي للدراسات المتخصصة التي قد يكون لها أثر عظيم، في علاج قضاياه إن شاء الله.
٥. حاجة المسلمين لتذكيرهم بما يزيد من تمسكهم بدينهم، وحفاظهم على هويتهم، وصبرهم على إيمانهم، مهما اشتدت الظروف وتغيرت الأحوال، فإن العاقبة للمتقين.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في كون المسلمين قد تشتد عليهم الغربة في آخر الزمان، ويتكالب عليهم الأعداء ويكثر عليهم الاعتداء، فهم بحاجة ماسة لما يسليهم ويواسيهم، ويثبتهم على دينهم، ويزيد من تمسكهم بإيمانهم، لذا يحاول الباحث أن يجيب من خلال هذا البحث عن ما يلي:

١. ما المقصد العام لسورة الفرقان، وما المواضيع العامة فيها ؟ وما علاقته بالبحث؟
٢. ما الآيات الدالة على تسلية النبي ﷺ المؤمنين في سورة الفرقان؟
٣. ما وجه التسلية والمواساة الواردة في تلك الآيات؟

أهداف البحث:

١. إيضاح المقصد العام لسورة الفرقان، والمواضيع العامة فيها، وبيان علاقته بالبحث.
٢. بيان الآيات الدالة على تسلية النبي ﷺ المؤمنين في سورة الفرقان.
٣. استنباط وجه التسلية والمواساة الواردة في تلك الآيات.

الدراسات السابقة:

بعد البحث في أوعية النشر وقفت دراسات تشابه بحثي من جهة، وتفارقه من جهات أخرى، وهي كما يلي:

١. تسلية الله لنبيه ﷺ في القرآن الكريم: دراسة تحليلية، للباحث: د. سعيد عمر بن دحباج، بحث منشور، في مجلة جامعة الناصر باليمن، العدد (٥) (ص١٩٩) سنة ٢٠١٥ م.
٢. التسلية في القرآن الكريم: دراسة موضوعية، للباحث: زهران عمر زهران، رسالة ماجستير في كلية الدراسات العليا بجامعة النجاح الوطنية، بفلسطين سنة ٢٠١٧م.
٣. تسلية الأنبياء والأولياء: دراسة قرآنية، للباحث السابق: زهران عمر زهران، بحث منشور في مجلة جامعة النجاح مج٣٣، ع٩ سنة ٢٠١٩م، وهو عبارة بحث مستل من رسالته المشار إليها آنفا، إذ يمثل الفصل الثاني منها.

وأجمل الإضافة العلمية والفروق بينها وبين بحثي بما يلي:

أ- تناول الباحثان التسلية في القرآن عموما، بينما بحثي خاص بسورة الفرقان.
ب- غلب على البحثين التنظير، وغلب على بحثي التطبيق.
ت- الاختلاف في الآيات المدروسة، فجميع الآيات التي درستُها في بحثي لم يتطرق لها الباحثان الكريمان، سوى آيتين فقط وهما الآيتان [٣١-

٣٢] من سورة الفرقان.

ث- الاختلاف التام في منهجية البحث وطريقة تناول الآيات بالدراسة.

حدود البحث:

كثرت الآيات الدالة على تسلية الله تعالى لنبيه ﷺ وللمؤمنين في القرآن الكريم، لذا رأيت الاقتصار على "سورة الفرقان" لتكون هي حدود البحث، واخترت منها: الآيات التي لها صلة وثيقة بموضوع البحث.

منهج البحث:

اقتضت طبيعة البحث السير وفق الإجراءات الآتية:

١. جمع المادة العلمية، وذلك بحصر الآيات المتعلقة بموضوع البحث، ولها صلة ظاهرة فيه.
٢. تفسير الآيات تفسيراً مجملاً.
٣. تتبع كلام المفسرين المتقدمين والمتأخرين، واقتباس ما يخدم الموضوع من كلامهم من نحوِ استنباطٍ أو فائدة أو معنى تفسيري.
٤. إيراد كلام مَنْ نَصَّ من المفسرين على كون الآية: تفيد التسلية أو المواساة أو التعزية -إن وُجد-.
٥. إبراز أوجه تسلية الله تعالى لنبيه ﷺ وللمؤمنين من خلال تفسير هذه الآيات.
٦. الحرص على بيان وجه العلاقة بين معنى الآية وكونها سيقت لتسلية النبي ﷺ والمؤمنين. -حسب الاستطاعة-.
٧. السير على المنهج الأكاديمي المتبع في البحوث العلمية من ناحية عزو الآيات وتخريج الأحاديث والآثار، وتوثيق النقولات.
٨. ختم البحث بخاتمة، فيها أهم النتائج والتوصيات، مع تذييله بالفهارس العلمية.

خطة البحث:

جاءت خطة البحث مقسمة إلى: مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، متبوعة بخاتمة وفهارس علمية على النحو الآتي:

المقدمة: ذكرت فيها أهمية البحث وأسباب دراسته، ومشكلة البحث، وأسئلته، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته.

التمهيد: وفيه: مطلبان:

المطلب الأول: تعريف التسلية – لغة واصطلاحاً–.

المطلب الثاني: الألفاظ المرادفة للتسلية في استعمالات المفسرين.

المبحث الأول: وفيه مطالبان:

المطلب الأول: تسلية النبي ﷺ وتسلية المؤمنين مقصد قرآني عظيم.

المطلب الثاني: المقصد العام لسورة الفرقان، والمواضيع العامة فيها.

المبحث الثاني: مظاهر تسلية النبي ﷺ المؤمنين في سورة الفرقان.

الخاتمة: فيها أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس العلمية: وتشتمل على:

فهرس المصادر والمراجع.

وأسأل الله ﷻ التوفيق والسداد والإعانة على ذلك، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمهيد

التمهيد: وفيه: مطلبان:

المطلب الأول: تعريف التسلية – لغة واصطلاحاً-:

التسلية – لغة-: تَفعِلة كالتربية والتخلية ونحوهما، وهي من سلّاه، وأسلا عنه، فتسلى، ويقال: سلّاني من همي تسلية، وأسلاني، أي: كشفه عني[1].

واللام والسين والحرف المعتل: أصل واحد يدل على خفض وطيب عيش، والعرب تقول: فلان في **سَلْوة** من العيش، أي: في رغد يسلّيه الهمّ[2].

ويقال: سلوتُ وسليتُ، وسَلا المحبُّ إذا فارقه ما كان به من همٍّ وحزن وعشق، وتطلق التسلية على الكف واللهو أيضاً.

ولكن المراد من التسلية هنا: كشف الهمّ وخفضه وتخفيفه؛ وإن كان معنى الكف واللهو يعود إليه، إذ الكف: قطع الهم، واللهو الاشتغال بما ينسي الهم.

التسلية -اصطلاحاً-: لا يبعد المعنى الاصطلاحي عن اللغوي، فتسلية الله ﷻ لنبيه ﷺ وللمؤمنين: إنزال ما يكشف عنهم الهم أو يخففه، قال الراغب الأصفهاني رحمه الله : «سلا: أصلها ما يسلّي الإنسان»[3]، وقال المناوي رحمه الله : «التسلية: هي تخفيف ما في النفس من الحزن... ويسلي المصاب: أي يزيل عنه ما يجده من شدة الحزن»[4].

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور (١١٨/١٩)، تاج العروس (٤٤٤/٥) مادة: سلا.

(٢) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٩١/٣) مادة: سلوى.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن (ص٤٢٤) مادة: سلا.

(٤) فيض القدير (١/ ٤٠٦).

المطلب الثاني: الألفاظ المرادفة للتسلية في استعمالات المفسرين.

من خلال تتبع الآيات الواردة في موضوع التسلية وقفت على أربع ألفاظ، استعملها المفسرون في هذا الباب: وهي التسلية والسلوة والمواساة والتعزية؛ وهي عندهم بمعنى واحد.

فربما أفرد المفسر أحد هذه الألفاظ، وهو الأغلب؛ وسترد في هذا البحث نقولات كثيرة عنهم في هذا إن شاء الله.

وربما جمع بين لفظين منها، ومن الأمثلة على ذلك قول الطبري رحمه الله –عند قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ ﴾ {الأنعام:٣٤}– : «وهذا **تسلية** من الله –تعالى ذكره– لنبيه محمد ﷺ، **وتعزية** له، عما ناله من المساءة بتكذيب قومه إياه»[(١)].

وقول الواحدي رحمه الله : «قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ {الأنعام:١٠} الآية. قال المفسرون: هذه الآية **تعزية** للنبي ﷺ **وتسلية** له، عما يرى من تكذيب المشركين»[(٢)].

(١) جامع البيان (٩/ ٢٢٤).

(٢) البسيط (٨/ ٢٩).

المبحث الأول: وفيه: مطالبان:

المطلب الأول: تسلية النبي ﷺ وتسلية المؤمنين مقصد قرآني عظيم.

إن الناظر في السور المكية يجد أن أكثرها يعالج قضية الصراع بين الحق والباطل، وقلّ فيها ذكر الأحكام الفقهية والقضايا المجتمعية الخاصة بالمسلمين فيما بينهم.

وذلك لشدة المناكفة، وقوة العداوة، وصعوبة الأمر في بدايته، إذ طُلب من ثلة قليلة أن تقف أمام طوفان جارف، وعدو متربص مخالف، لا يألو جُهداً في صد هذه الثلة عن مرادها، والحيلولة دون تحقيق أهدافها.

نعم بلا شك، إن الصراع بين أهل التوحيد وأهل الشرك، وبين حُماة الإسلام ودعاة الكفر الذين هم دعاة على أبواب جهنم، وبين الغرباء المُحقين، والكثرة المبطلين، كما وصفهم نبينا ﷺ في قوله: ((بدأ الإسلام غريبا، وسيعود كما بدأ غريبا، فطوبى للغرباء))[1]، قال ابن الأثير رحمه الله : «أي: أنه كان في أول أمره كالغريب الوحيد الذي لا أهل له عنده، لقلة المسلمين يومئذ، ((وسيعود غريبا كما كان)) أي: يقل المسلمون في آخر الزمان فيصيرون كالغرباء، ((فطوبى للغرباء)) أي: الجنة لأولئك المسلمين الذين كانوا في أول الإسلام ويكونون في آخره، وإنما خصهم بها لصبرهم على أذى الكفار أولاً وآخراً، ولزومهم دين الإسلام»[2].

في ظل هذه الظروف التي استعمل فيها أعداء الإسلام كل ما يقدرون عليه من أساليب ماكرة، وخطط جائرة، ليقفوا في وجه الإسلام ويحولوا دون انتشاره، ويسعوا في رد أهله عنه =كان القرآن ينزل منجمًا

(١) رواه مسلم في "صحيحه" (١/٩٠) رقم (١٤٥) كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا.

(٢) النهاية لابن الأثير (ص٦٦٣) مادة: غرب.

يثبت القلوب ويسلي النفوس، ويقلل الوحشة في الصدور، فبعض آياته: خوطب به النبي ﷺ ، وبعضها: خوطب به المؤمنون؛ ومما خوطب به النبي ﷺ في هذا الشأن قوله تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ {هود: ١٢٠}، وإن كان آخرها قد أدخل المؤمنين في الخطاب، وأشار إلى أنهم مقصودون به أيضا؛ بل كل خطاب للنبي ﷺ فهو يشمل أمته إلا ما دل الدليل على خصوصه.

ومن الآيات كذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ {النحل: ١٠٢}.

ففي هاتين الآيتين: إشارة واضحة إلى أن من مقاصد القرآن العظيمة: تسلية النبي ﷺ والمؤمنين ومواساتهم وما يثبت قلوبهم على دينهم؛ وهذا مستفاد من اللام في قوله تعالى: ﴿لِيُثَبِّتَ ﴾ فاللام هنا للتعليل، أي: نزل لعلة واضحة، وحكمة ظاهرة، وهي أنه نزل تثبيتاً وهداية وبشارة للمسلمين(١).

قال السعدي رحمه الله: «﴿ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ عند نزول آياته، وتواردها عليهم وقتاً بعد وقت، فلا يزال الحق يصل إلى قلوبهم شيئاً فشيئاً، حتى يكون إيمانهم أثبت من الجبال الرواسي»(٢).

وأشار الباقلاني رحمه الله إلى أن تكرار قصص القرآن، ونزوله شيئاً

(١) انظر: الكشاف للزمخشري (٤٦٦/٣)، الجدول في إعراب القرآن لمحمود صافي (٧/ ٣٨٩).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص٦٣٤).

فشيئاً، في أوقات متباعدة متراخية، فيه من التثبيت للنبي ﷺ، وللمؤمنين، ما ليس في المرة الواحدة.

ففي مواعظه، وتخويفه لهم، وترغيبه لهم في طاعة الله وزجره عن معصيته، عند تكرار الكلام، وإعادة القصص وضرب الأمثال، تثبيت لهم، وزجراً لغيرهم من أهل البلدان والنواحي الذين يسمعون القرآن، تتلى فيه القصة بعد القصة، ويذكر فيه حال النبي بعد النبي، وتذكر العواقب المتتالية لكل أولئك، فإذا سمعوا ما أخبر الله سبحانه من إهلاكه العاصين وتنجيته المؤمنين كانوا أقرب إلى طاعته وأشد انزجاراً عن معصيته [١].

وجعل أبو القاسم النيسابوري رحمه الله التسلية أحد مقاصد القرآن ووجوهه، فقال: «﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾ {الإسراء:٤١} صرّفنا القول فيه على وجوه، من أمر ونهي، ووعد ووعيد، **وتسلية** وتحسير، وتزكية وتقريع، وقصص وأحكام، وتوحيد وصفات، وحكم وآيات»[٢].

<u>المطلب الثاني: المقصد العام لسورة الفرقان، والمواضيع العامة فيها.</u>

سورة الفرقان مكية بالإجماع، كما حكاه البقاعي رحمه الله في "مصاعد النظر"[٣].

واختُلف في آياتٍ منها، وهي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾

(١) انظر: الانتصار للقرآن للباقلاني (٢/ ٨٠١).

(٢) إيجاز البيان عن معاني القرآن (٢/ ٥٠٠).

(٣) مصاعد النظر للبقاعي (٢/ ٣١٦). وانظر: المكي والمدني د.محمد الفالح (ص١٦٤).

يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾ ﴾.

فقد رُوي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنها مدنية[(١)].

وهذا يعارض ما جاء عنه ﷺ في الصحيحين: لما سأله سعيد بن جبير رحمه الله : هل لمن قتل مؤمناً متعمداً من توبة؟ وقرأ عليه: ﴿وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾؟ فقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : «هذه مكية، نسختها آية مدنية، التي في سورة النساء» [(٢)]، يعني قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ {النساء:٩٣}[(٣)]، ومنه يتبين أن السورة كلها مكية، والله أعلم.

إذا تقرر هذا، فإن من المعلوم أن السور المكية تشترك في مواضيع عامة[(٤)]: كتقرير الوحدانية لله ﷻ، وتقرير النبوة وإثبات الرسالة لنبينا

(١) نسبه إليه ابن الجوزي في "زاد المسير" (٧١/٦).

(٢) رواه البخاري في "صحيحه" (١١٠/٦) رقم (٤٧٦٢) كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر﴾؛ ومسلم في "صحيحه" (٢٤١/٨) رقم (٣٠٢٣) كتاب التفسير.

(٣) وفي دعوى النسخ هنا كلام لأهل العلم، والراجح أن الآيتين محكمتان، ويمكن أن يحمل كلام ابن عباس على أن المراد بالنسخ هنا: التخصيص، كما جرى ذلك في كلام كثير من السلف، فيكون عمومُ آية الفرقان مخصوصاً بآية النساء، كما قرره ابن حجر في "فتح الباري" (٤٩٦/٨).

(٤) هناك تداخل بين: الموضوعات العامة والمقاصد العامة في القرآن الكريم، فالمقاصد كما يقول الشاطبي في "الموافقات" (٢١٨/٤): "المعاني التي تقتضي تحقيق =

محمد ﷺ، وإثبات أمر البعث والجزاء يوم القيامة، قال الشاطبي رحمه الله: «فهذه المعاني الثلاثة هي التي اشتمل عليها المنزل من القرآن بمكة، في عامة الأمر؛ وما ظهر ببادئ الرأي خروجه عنها: فراجع إليها في محصول الأمر، ويتبع ذلك الترغيب والترهيب، والأمثال والقصص، وذكر الجنة والنار ووصف يوم القيامة وأشباه ذلك»(١).

ومدارها على التوحيد وأدلته وبيان جزاء أهله، وتحذير المخالفين وتبيين عاقبة المعاندين، كما قال ابن القيم رحمه الله : «وغالب سور القرآن، بل كل سورة في القرآن، فهي متضمنة لنوعي التوحيد؛ بل نقول قولاً كلياً: إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه... فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم»(٢).

=

المخاطب بوصف العبودية، والإقرار لله بالربوبية؛ فذلك هو الباطن المراد والمقصود الذي أنزل القرآن لأجله"، وذكر نحوَه في المعاني الثلاثة هي التي اشتمل عليها القرآن المكي، فحصل تداخل بين المقاصد والموضوعات العامة؛ وعند من يفرق بينها: يجعل للسورة مقصداً واحداً فقط، وهو الهدف العام والغرض الكلي الذي تدور عليه السورة، ويربط بين أولها وآخرها بمناسبة ظاهرة أو خفية، وعليه: فيظهر أن بين الموضوعات العامة والمقاصد العامة عموماً وخصوصاً، فكل مقصد قرآني داخل في الموضوعات العامة، ولا عكس، إذ الموضوعات القرآنية تشمل العقيدة والعبادات والأخلاق وما يتعلق بها، ويمكن أن تقسم أيضاً إلى: التوحيد والقصص والأحكام. فالقصص –مثلاً–من موضوعات القرآن، وليس من مقاصده وهكذا، وربما أُطلق على مقصد السورة: مصطلح "الوحدة الموضوعية". انظر: المحرر في علوم القرآن، د.مساعد الطيار (ص٢١٤)؛ وجهود العلماء في الكشف عن مقاصد القرآن وموضوعاته، د.آدم بللو (ص١٣).

(١) انظر: الموافقات للشاطبي (٤/٢٧٠).

(٢) مدارج السالكين (٤/ ٤٤٩).

وسورة الفرقان لا تخرج موضوعاتها العامة عن هذا، فقد قرر ابن عاشور رحمه الله أن هذه السورة أقيمت على دعائم ثلاث:

الأولى: إثبات كون القرآن منزل من الله تعالى، والتنويه بالرسول ﷺ الذي أنزل عليه ذلك القرآن.

الثانية: إثبات البعث والجزاء.

الثالثة: الاستدلال على وحدانية الله ﷻ وتفرده بالخلق(١).

وهذه الأمور هي التي تقدمت الإشارة إليها في كلام الشاطبي قبل قليل، إلا أن ابن عاشور أشار -نقلاً عن الطيبي-إلى أمر آخر: وهو أن مدار السورة على كون النبي ﷺ مبعوثاً إلى الناس كافة، وأُعقب ذلك بتثبيت الرسول ﷺ على دعوته، ومقاومته للكافرين(٢).

وعليه: فيمكن القول: بأن المقصد العام لسورة الفرقان هو التركيز على قضية الانتصار للرسول ﷺ بعد تطاول المشركين(٣)، وبيان ما يسليه ويثبته، ويثبت المؤمنين، وهو من أهم موضوعاتها.

وهذا هو وجه المناسبة بين مقصد السور وموضوعاتها، وعلاقته بهذا البحث.

(١) انظر: التحرير والتنوير (٣١٣/١٨).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٣١٣/١٨)، وانظر: كلام الطيبي في "فتوح الغيب" (١٨٦/١١).

(٣) انظر: المختصر في التفسير (٣٥٩)، معالم السور لفايز السريح (ص١٦٥).

المبحث الثاني: مظاهر تسلية النبي ﷺ والمؤمنين في سورة الفرقان[1].

المظهر الأول: التذكير بما لله ﷻ من صفات الجلال والجمال والكمال:

لاشك أن أعظم ما يسلي المؤمن معرفته بربه ﷻ وما له من أسماء حسنى، وصفات عُلى، وكلما ازداد معرفة بربه ازداد إيماناً وطمأنينة وثقة وسكينة، فما بالك إذا كان المخاطب هو أعلم الناس بربه سبحانه، وأشدهم ثقة بوعده، وهو رسولنا الكريم ﷺ القائل: ((إن أتقاكم وأعلمكم بالله، أنا))[2].

ولنا أن نتصور مقدار التسلية والمواساة التي تحل في القلب، حين يُحدث عن الله سبحانه، الذي له الكمال المطلق، والقوة الكاملة، والقدرة على كل شيء.

فلو قيل لعبد من العبيد: إن ربك يحبك حباً عظيماً، وهو مع ذلك كريم رحيم، وعزيز جبار، وفعال لما يريد، فإنه –بلا شك– سيجد من الأنس ما يزيل وحشته، ومن الطمأنينة ما يربط على قلبه، ومن الثقة ما يثبت فؤاده وقدمه في كل المواقف، فكيف إذا كان المحبوب هو رسول الله ﷻ ، بل كان أحبّ الخلق إليه سبحانه، فالمخاطِب المخبر بتلك الصفات هو الله تعالى، والمخاطَب هو رسوله ﷺ .

ومن تلك الصفات التي أخبر بها سبحانه عن نفسه في هذه السورة: ما جاء في أول آية منها، وهي قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ {الفرقان: ١}، وقوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ ﴾

---

(١) رتبت هذه المظاهر حسب ترتيب الآيات في سورة الفرقان.

(٢) رواه البخاري في "صحيحه" (١٣/١) رقم(٢٠) كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: أنا أعلمكم بالله.

{الفرقان:١٠} وقوله تعالى:﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ ﴾ {الفرقان:٦١}، ولم يتكرر لفظ (تبارك) ثلاث مرات، في أي سورة من سور القرآن إلا في سورة الفرقان.

و(تبارك) لفظ تمجيد وتعظيم، من البركة، وهي كثرة الخير، بل هي: الكثرة في كل خير[١].

وهو على وزن (تفاعل) كما قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «(تبارك) تفاعل، من البركة»[٢]، وقال ابن دريد رحمه الله: «وإنما هو راجع إلى الجلال والعظمة؛ و(تبارك) لايوصف به إلا الله تبارك وتعالى، ولايقال: تبارك فلان، في معنى: جَلّ وعَظُمَ، فهذه صفة لاتنبغي إلا لله ﷻ»[٣]، وقال ابن الأنباري رحمه الله : «تبارك اسمك: البركة تُكسب وتُنال بذكر اسمك»[٤].

وقال أصحاب المعاني: تبارك الله : يعني ثبت ما به استحق التعظيم، فيما لم يزل، ولا يزال[٥]، لأن أصلها من: الباء والراء والكاف، الدال على الثبوت والدوام[٦].

فمعادن الخير كلها عند الله سبحانه، وفي خزائنه، وما كان عند غيره فهو منه ﷻ، لذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «كثر خير الله وطاب»[٧].

---

(١) انظر: البسيط للواحدي (١٧٧/٩)، معالم التنزيل للبغوي (٣٢١/٣).

(٢) رواه الطبري في "جامع البيان" (٣٩٤/١٧)، وابن أبي حاتم (٢٦٥٩/٨).

(٣) جمهرة اللغة (١/ ٣٢٥).

(٤) الزاهر في معاني كلمات الناس (١٤٨/١).

(٥) نقله عنهم الواحدي في "البسيط" (١٧٧/٩).

(٦) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٢٢٧/١) مادة: برك.

(٧) رواه ابن المبارك، كما عزاه له المنذري في "الترغيب والترهيب" (١٣١/٢)، وقال الألباني في "صحيح الترغيب" (٣٣/٢): «صحيح لغيره».

وقال ابن عثيمين رحمه الله : «{تبارك} تدل على التعالي، بل وعلى كثرة الخير وسعته ودوامه، فمعناه: أنه كثرت خيراته وعظمت واستمرت للعباد»[1]..

وقوله: ﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ {الفرقان:١} أي: كثرت بركاته سبحانه، ومن جملتها: أنه نزل الفرقان على عبده محمد ﷺ كما يقوله ابن عطية رحمه الله [2].

فما دام كل خير فهو عند الله سبحانه، وكل خير منه سبحانه، فحُق لعبده ﷺ أن يتسلى بذكره تعالى، وأن ينام قرير العين، مطمئن الفؤاد، فلا يأبه بكيد الكفار، ولا يكترث بما يمكرون، فيبلغ رسالة ربه ﷻ، ولا تأخذه في الله لوم لائم.

ومن الصفات: تمام الملك، وكمال القدرة، التي ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ {الفرقان:٢} فمن مظاهر التسلية: الإخبار عن اتصاف الله ﷻ بتمام الملك وكمال القدرة، فمَنْ مَلكَ السموات والأرض، فإنه لا يخرج شيء عن ملكه ، وله سبحانه التصرف الكامل فيهما وحده؛ وجميع المخلوقات فيهما إنما هم مماليك وعبيد له، خاضعون لربوبيته، فهو المالك، وغيره مملوك؛ وهو القاهر وغيره مقهور؛ ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ فشمل العالم العلوي والسفلي، بكل ما فيه، من إنسان وحيوان ونبات وجمات، ﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ أي: أعطى كل مخلوق ما يليق به ويناسبه، وعلى ما تقتضيه

(١) تفسير سورة الفرقان لابن عثيمين(ص١١)؛ وانظر: تيسير الكريم الرحمن (٨٠٥).
(٢) انظر: المحرر الوجيز (٢٦٣/٧).

حكمته البالغة[١].

فعرّف خلقه بما له سبحانه من العظمة والتفرد بالوحدانية، فأوجب ذلك: التسليةَ والمواساة للنبي ﷺ وللمؤمنين، والوعيدَ والترهيب للمعاندين المخالفين، إذ إن سلطانَه ﷻ نافذ في السموات والأرض، وأمرَه وقضاءَه ماضٍ فيهما[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ دليل على أن الخالق سبحانه متصف بصفات الكمال، لأن خلْق الخلق، وإتقانه إتقاناً كاملاً، لا يقدر عليه إلا من اتصف بصفات الكمال[٣].

المظهر الثاني: وصف القرآن العظيم بالفرقان:

إن في وصف القرآن بالفرقان –الذي يُفرق بين الحق والباطل– تسلية ومواساة، فمن آثار بركة الله تعالى على عبده ﷺ أن ينزل عليه، ما من شأنه أن يفرق به بين الحق والباطل، وهذا يتضمن النصر والتأييد، لأن ذلك هو الذي يتحقق به هذا التفريق بين الحق والباطل؛ والتفريق يكون بأن يعلي الله ﷻ الحق ويثبته، ويبطل الباطل ويمحقه، كما قال تعالى: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٨﴾ {الأنفال:٨}.

وفي الإخبار عن القرآن بأنه (سيكون للعالمين نذيراً) تسلية ومواساة، إذ يتضمن البشارة بعالمية هذا الكتاب، مما يدل على أن دعوته ستتجاوز مكة وتنفذ من بين أيدي كفار قريش، بل ستتجاوز الآفاق، وهذا وعد من الله وقد تحقق، كما جاء عن تميم الداري ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص٨٠٥).

(٢) انظر: جامع البيان للطبري (٣٩٥/١٧).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (٣١٨/١٨).

((ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر))، وكان تميم الداري ﷺ يقول: «قد عرفت ذلك في أهل بيتي، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز، ولقد أصاب من كان منهم كافراً الذل والصغار والجزية»(١).

وقال الطبري رحمه الله: «تبارك الذي نَزّل الفصل بين الحق والباطل، فصلاً بعد فصل، وسورة بعد سورة، على عبده محمد ﷺ، ليكون محمد ﷺ لجميع الجن والإنس –الذين بعثه الله إليهم داعيا إليه– ﴿نذيراً﴾ يعني: منذراً ينذرهم عقابه، ويخوفهم عذابه، إن لم يوحدوه، ولم يخلصوا له العبادة ، ويخلعوا كل ما دونه من الآلهة والأوثان»(٢).

وقد لَمح ابن عاشور رحمه الله ملمحاً جميلاً من قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ﴾ {الفرقان:٤٥} ، مفاده أن هذه الآية: فيها تشبيه نزولِ القرآن بظهور الشمس على المواضع المظلمة والمظللة(٣)، بجامع أن كليهما يحدث تدريجياً، وعليه: فإن في هذه الآية أيضاً بشارة وتسلية للنبي ﷺ والمؤمنين، بالنصرة والتمكين والظهور، وبأن القرآن سوف يجلو ظلمة الكفر والضلال، وسيسطع نوره على كل البلاد، كما يسطع نور الشمس على جميع نواحي الأرض، والله أعلم.

(١) رواه أحمد في "المسند"(٢٨/ ١٥٤) رقم (، وصححه محققو المسند.
(٢) جامع البيان (١٧/ ٣٩٤).
(٣) انظر: التحرير والتنوير (٣٩/١٩).

المظهر الثالث: وصف النبي ﷺ بصفات التشريف، وأخصها العبودية والرسالة:

لقد شرّف الله ﷻ نبيه محمداً ﷺ ووصفه بأوصاف تكريم وتشريف، ومنها: وصف العبودية، إذ وصفه بها في أشرف المقامات: مقام **التحدي**، فقال سبحانه: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ {البقرة:٢٣} ، ومقام **الإسراء**، فقال سبحانه: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا ﴾ {الإسراء:١} ، ومقام **الإنزال والوحي** فقال سبحانه: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴿١﴾ ﴾ {الكهف:١}، وقال في هذه السورة: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ {الفرقان:١}، ومقام **الدعوة**، فقال سبحانه: ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ ﴾ {الجن:١٩}.

قال ابن القيم رحمه الله: «فالحق أن نهاية مقامات السالكين: تكميل مرتبة العبودية صِرفاً، وهذا مما لا سبيل إليه لبني الطبيعة، وإنما خُص بذلك الخليلان من بين سائر الخلق، أما إبراهيم الخليل ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فإن الله سبحانه شهد له بأنه وفى.

وأما سيد ولد آدم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فإنه كمل مرتبة العبودية، فاستحق التقديم على سائر الخلائق»[1].

وقال أبو السعود رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿ نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ﴾

(١) مدارج السالكين (٤/ ٤٣٣).

{الفرقان:١}: «في إنزاله ﴿عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ﴾ محمد ﷺ وإيراده بذلك العنوان، لتشريفه والإيذان بكونه ﷺ في أقصى مراتب العبودية»[١]، وهذا فيه من التسلية والمواساة القدر الكبير، إذ يفهم من هذا الخطاب: عظم المنزلة، وكبر المكانة، والإحاطة بالحفظ والصيانة، التي حظي بها نبينا محمد ﷺ ، وأعْظِم بهذا من شرف ومنزلة!.

وأما الإشارة إلى رسالته ﷺ ففيها تسلية أيضاً، فإن الله ﷻ لما ذكر اقتراحات المشركين واعتراضاتهم على نبينا محمد ﷺ ، وما أجاب به سبحانه، وذكر أمثلة على هلاك الأمم السابقة، لما ذكر هذا كله =ختمه بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٥٦﴾ {الفرقان:٥٦} أي: بعد هذا كله، تذكر يا نبينا ﷺ أن مهمتك ورسالتك: هي بشارة المؤمنين، ونذارة الكافرين، وليس أمر هدايتهم إليك، لذا قال ابن عطية رحمه الله : «وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٥٦﴾ الآية **تسلية** لمحمد ﷺ، أي: لا تهتم بهم، ولا تذهب نفسك حسرات، حرصاً عليهم، فإنما أنت رسول، تبشر المؤمنين بالجنة، وتنذر الكفرة النار، ولست بمطلوب بإيمانهم أجمعين»[٢].

<u>المظهر الرابع: تقريع الكفار، وبيان سفه عقولهم، وعجز آلهتهم:</u>

قال سبحانه: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا ٣﴾ {الفرقان:٣}

(١) إرشاد العقل السليم (٦/٢٠٠).

(٢) المحرر الوجيز (٧/٣٠٦).

لما بيّن سبحانه كمال غناه وقدرته على كل شيء في الآيتين الأوليين، أعقب ذلك هنا ببيان عجز آلهة الكفار عن كل شيء.

مع ما فيها من تقريع المشركين وذمهم، قال الطبري رحمه الله في تفسيرها: «يقول تعالى: مقرّعاً مشركي العرب بعبادتهم ما دونه من الآلهة، ومُعجّباً أولي النهى منهم، ومنبههم على موضع خطأ فعلهم، وذهابهم عن منهج الحق»[(١)].

ووجه التسلية والمواساة فيها بأن يقال للنبي ﷺ والمؤمنين: إن إلهكم قادر على كل شيء، وإن آلهة الكفار عاجزة عن كل شيء، فقد تضمنت الآية تسلية النبي ﷺ والمؤمنين، بما تشير إليه من سفه الكفار ونقص عقولهم[(٢)]، إذ كيف يتخذون من دون الله ﷻ ما لا يقدر على الخلق، وهو مخلوق، وليس له من الملك شيء، بل هو مملوك، ومن هو عاجز عن النفع والضر والإماتة والإحياء والنشور، وهذه الصفات قد كملت لله سبحانه وانفرد به ﷻ ، فمعرفة هذا تبعث السكينة والطمأنينة في قلوب المؤمنين، إذا عرفوا حالهم مع ربهم، وحال أعدائهم مع آلهتهم.

ومن التسلية: الحكم عليهم بالظلم والضلال، وذلك أنهم لما حاروا في أمر النبي ﷺ، أخذوا يضربون له الأمثال، فيزعمون: أنه ساحر أو كاهن أو مجنون، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ٨ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ٩﴾ {الفرقان:٩}، ففي قوله: ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: إظهار في مقام الإظمار[(٣)]،

(١) جامع البيان (٣٩٧/١٧).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٢٥٣٨/٦)، تيسير الكريم الرحمن (ص٨٠٥).

(٣) انظر: تفسير سورة الفرقان لابن عثيمين (ص٥٠).

فلم يقل سبحانه: وقالوا، بل قال: ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، وفيه: تسجيل عليهم بهذا الوصف الظاهر، وهو الظلم، وحكم عليهم بذلك، ثم أعقبه بوصفهم بالضلال في قوله: ﴿فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ٩﴾، فهم غارقون في الضلالة، بسبب ما ضربوه لك من هذه الأمثال والأوصاف والأشباه المزعومة.

وهذا الأسلوب فيه تسلية ظاهرة للنبي ﷺ، لذا قال ابن عطية رحمه الله : «ثم نبهه الله تعالى **مسلياً** عن مقالتهم، فقال: ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ بالمسحور والكاهن والساحر وغيره، ﴿فَضَلُّواْ﴾ أي: أخطؤوا الطريق، فلا يجدون سبيل هداية، ولا يطيقونه لالتباسهم بضده من الضلال»[1].

<u>المظهر الخامس: تفنيد مزاعم الكفار، والرد على اقتراحاتهم:</u>

لقد أبطل الله ﷻ افتراءات الكفار ومزاعمهم، ورد على اقتراحاتهم، التي ما كانت إلا عن تكبر وعناد وتعنت، ليدحضوا بها الحق، ولكن هيهات هيهات.

وقد ذكر الله سبحانه في هذه السورة عدداً منها، وأبطلها بأحسن بيان، وأجل أسلوب، وبما يقيم الحجة، ويوضح المحجة، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

فأول تلك الافتراءات:

ما زعموه بأن القرآن ما هو إفك مفترى، أي: كذب مختلق من قِبل النبي ﷺ، وأعانهم عليه قوم آخرون، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ

(١) المحرر الوجيز (٢٦٨/٧).

﴿إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ {الفرقان:٤}، قال مقاتل بن سليمان رحمه الله: «قال النضر بن الحارث -من بني عبد الدار-: ما هذا القرآن إلا كذب، اختلقه محمد ﷺ من تلقاء نفسه، ثم قال: ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ يقول النضر: عاون محمدا ﷺ عداس مولى حويطب بن عبد العزى، ويسار غلام العلاء بن الحضرمي، وجبر مولى عامر بن الحضرمي -كان يهوديا فأسلم-؛ وكان هؤلاء الثلاثة من أهل الكتاب»[(١)]، فهؤلاء كانوا من الموالي بمكة وكانوا على دين النصرانية، ويعرفون شيئاً من التوراة والانجيل، ثم أسلموا، فزعمت قريش أنهم عاونوا النبي ﷺ في ذلك.

وقال ابن عاشور رحمه الله: «وممن قال هذه المقالة: النضر بن الحارث، وعبد الله بن أمية، ونوفل بن خويلد؛ فإسناد هذا القول إلى جميع الكفار، لأنه واقع بين ظهرانيهم، وكلهم يتناقلونه»[(٢)]، ومعلوم أن الراضي كالفاعل.

فجاء الرد عليهم: ﴿فَقَدْ جَاءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾﴾ {الفرقان:٤} وتأمل التعبير عن عملهم بالمجيء، فلم يقل سبحانه: (وعملوا) أو (وقالوا)، بل قال: جاؤوا، كناية عن شدة عنايتهم بعملهم الباطل، وقصدهم إليه، واهتمامهم بتحصيله، ولذا صحّ تعدية الفعل إلى مفعول[(٣)]، بدون ذكر حرف جر، لأن المعهود تعدية المجيء بـ(إلى).

فوصف سبحانه فعلهم: بالظلم والزور، والظلم وضع الشيء في غير موضعه بغير وجه حق، والزور: الكذب المُحَسّن المموه بحيث يشتبه

(١) تفسير مقاتل (٣/٢٢٦).
(٢) التحرير والتنوير (١٨/ ٣٢٢).
(٣) انظر: التحرير والتنوير (١٨/٣٢٣).

بالصدق[1].

ومن مظاهر التسلية والمواساة: أن الله تعالى هو الذي تولى بنفسه، الرد على هؤلاء المكذبين، ولقّن الحجةَ رسولَه ﷺ والمؤمنين، بقوله سبحانه: قل لهم كذا وكذا.

ومن ذلك أنه سبحانه وصف قولهم بالافتراء وقال: ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ ﴾ {النساء:٥٠} قال البقاعي رحمه الله: «ولما أتم سبحانه ما ذكر من أقوالهم الناشئة عن ضلالهم، التفت سبحانه إلى رسوله ﷺ **مسلياً** له فقال: {انظر}، ثم أشار إلى التعجب منهم، بأن ما قالوه يستحق الاستفهام»[2].

وقد أمر الله سبحانه نبينه ﷺ أن يرد عليهم كذبهم وافتراءهم بقوله: ﴿ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٦﴾ ﴾ {الفرقان:٦} أي: ليس شأن القرآن كما تزعمون، بل هو منزل من عند عالم الغيب والشهادة، الذي يعلمه أياً كان مكانه، ولو كان محمد ﷺ قد أخذ شيئاً من هؤلاء الثلاثة أو مما سطره الأولون، لعلمه الله سبحانه، فإنه يعلم السر في السموات والأرض، ومقتضى ذلك: أن الله ﷻ لن يدع أحداً يفتري عليه الأحكامَ والشرائع، ويستحل بها دماء الناس وأموالهم، ويقول صباح مساء: قال الله، قال الله، ثم يدعه مع ذلك ولا يعاقبه، إن هذا لا يكون في تدبير ملك من ملوك الدنيا، فكيف بملك الملوك ﷻ ، فإنه من المعلوم المشاهد: أن الملك يغضب غضباً شديداً على من يفتري عليه، وينسب الكلام إليه، ولا يدعه أبداً بدون عقوبة، فضلاً عن أن يكرمه ويؤيده بالنصر والتمكين؛

(١) انظر: جامع البيان للطبري (٣٩٨/١٧)، التحرير والتنوير (٣٢٤/١٨).
(٢) نظم الدرر (٢٩٩/٥).

فدل الشرع والعقل والواقع على صحة كل ما قاله النبي ﷺ ، وفيما نسبه إلى رب العزة والجلال.

وفي اختصاصه ﷻ بأنه يعلم السر، دليل على صحة نزول القرآن من الله تعالى، وإبطال لشبهتهم بأن النبي ﷺ أخذه عن غيره، وذلك أن القرآن مشتمل على الإخبار بالمغيبات السابقة واللاحقة، وكثير من الأسرار، وهذه لا يعلمها أحد من البشر، فلا يعلمها إلا من يعلم السر، ولا يعلم السر إلا الله ﷻ، فثبت أن القرآن منزل من الله ﷻ ، كما قال ابن تيمية رحمه الله: «وقوله: ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ {الفرقان:٦} لأن فيه من الأسرار التي لا يعلمها إلا الله، ما يدل على أن الله أنزله، فَذِكْرُه ذلك يُستدل به تارة على أنه حق منزل من الله ... »[(١)].

<u>المظهر السادس: تسلية النبي ﷺ بإخباره أن الله سبحانه قادر على إعطائه أعظم مما اقترحه المشركون:</u>

دأب كثير من أعداء الرسل على اقتراح أشياء يظنون أنها تُعجز الله ﷻ ، فيجيب الله سبحانه أنبياءه بأنه قادر على إنزال ما اقترحوه، لكن عادته معهم: أنه يأخذهم أخذ عزيز مقتدر، إذا لم يستجيبوا بعد ذلك،

ومن هذه الاقتراحات ما جاء في هذه السورة، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ﴾ {الفرقان:٨} .

فجاءت التسلية والمواساة مفتتحة بصفة البركة وهي -كما تقدم-:

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٤/١٩٦-١٩٨).

الكثرة في كل خير، فقال سبحانه: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ ﴾ {الفرقان: ١٠} أي: يا نبينا، لا يحزنك ما يقولون ولا ما يقترحون، فإن الخير كله عندنا، وبأيدينا، ولو شئنا لجعلنا لك خيراً وأعظم من ذلك الذي اقترحوه، فإنه شيء يسير لا يعجزنا، ولكن نجري الأمور على ما تقتضيه حكمتنا؛ وأما اقتراحات هؤلاء فما هي إلا جرأة وظلم وزور[1]؛ وتأمل المقارنة بين ما اقترحوه، وما أشار به الله سبحانه، فهم قالوا: ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾ ، فقال الله: ﴿خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ﴾ ، وليس جنة واحدة[2]، فهي خير مما اقترحوا، كماً وكيفاً.

وقال الزمخشري رحمه الله –عند ذكر اقتراحات المشركين السابقة، وما أجاب الله به عليهم–: «وقيل: هو تسلية له عما عيروه به من الفقر»[3].

<u>المظهر السابع: تسلية الرسول ﷺ بذكر مشابهته للمرسلين عليهم السلام قبله:</u>

سواء أكان ذلك فيما يتعلق بالخِلقة والجبلة، أم فيما يتعلق بنصب العداء له ممن حوله، أم فيما يتعلق بالعاقبة لمن خالفه؛ فسنة الله ﷻ في المرسلين واحدة، فكلهم من البشر، يأكلون ويشربون، ويمشون في الأسواق لقضاء حاجاتهم، وتمضي عليهم النواميس الكونية، والعوارض الطبيعية، من مرض وخوف وقتال وغير ذلك، ثم تمضي فيهم سنة الله ﷻ الكونية، فتكون العاقبة لهم، ودائرة السوء على أعدائهم.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٦/٢٥٤٠)، تيسير الكريم الرحمن (ص٨٠٧).

(٢) انظر: تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٣/ ٢٥٤).

(٣) انظر: الكشاف (٣/٢٠٧).

ووجه التسلية في هذا لا يخفى، إذ من المتقرر أن الإنسان إذا تعرض لما يسوؤه فقيل له: إن هذا ليس بدعاً من الأمر، ولا غريباً في الحدوث، فما يجري عليك فقد جرى على إخوانك ونظرائك من قبل، فلا شك أن هذا مما يسليه ويربط على جأشه.

ففي هذه السورة ذكر الله ﷻ عدداً من هذه الصور، فمنها قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾ {الفرقان:٢٠} فقد ذكر الثعلبي أن هذه الآية نزلت **تعزية** للرسول ﷺ [١]، والمعنى: يارسولنا، إن كان هؤلاء الكفار قد نقموا عليك أكلَك وشربك ومشيَك في الأسواق، فإن إخوانك المرسلين كانت حالهم كحالك، فلا تكترث بما يقولون، فإن هذه الأمور ليست بمنافية لحالك ومنصبك ومكانتك، إنما هي من ضرورة الخلق فلا عارَ فيها ولا درك[٢].

وذكر الثعلبي والقرطبي وجهاً محتملاً عن بعض أهل العلم: وهو أن المعنى: وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا قيل لهم كما قيل لك: إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، ودليله قوله تعالى: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ﴾ {فصلت:٤٣} [٣].

ثم بين الله سبحانه في آخر الآية: أن الأمر لا يعدو كونه ابتلاء واختباراً، ليرى الله سبحانه صبركم، لذا قال سبحانه: ﴿وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ﴾ وكما قال ﷺ: «يقول الله تعالى: إنما بعثتك

(١) انظر: الكشف والبيان (٣٦٤/١٩).
(٢) تفسير ابن كثير (٢٥٤٤/٦).
(٣) انظر: الكشف والبيان (٣٨٢/١٩)، الجامع للقرطبي (٣٨٣/١٥).

لأبتليك وأبتلي بك»[١]، وروى الطبري عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: «أي: جعلتُ بعضكم لبعض بلاء، لتصبروا على ما تسمعون منهم، وترون من خلافهم، وتتبعوا الهدى بغير أن أعطيهم[٢]عليه الدنيا؛ ولو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلي فلا يخالفون لفعلت، ولكني قد أردت أن أبتلي العباد بكم وأبتليكم بهم»[٣].

قال ابن عاشور رحمه الله: «والكلام **تسلية** للنبي ﷺ عن إعراض بعض قومه، عن الإسلام»[٤].

ثم قال سبحانه: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ أي: وكان ربك يارسولنا بصيراً بمن يجزع، ومن يصبر على ما امتُحن به من البلايا والمحن[٥].

ومن التسلية في هذا المظهر: قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ {الفرقان:٣١} ففي هذه الآية: **تعزية** للنبي ﷺ كما قاله يحيى بن سلام[٦]، وابن أبي زمنين[٧].

---

(١) رواه مسلم في "صحيحه" (٨/ ١٥٩) رقم (٢٨٦٥) كتاب الجنة، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة.

(٢) كذا في النسخ، وسياق الكلام يقتضي أن يكون اللفظ: (أعطيكم)، لأنه خطاب لهم. والله أعلم.

(٣) رواه الطبري في "جامع البيان" (٤٢٥/١٧).

(٤) التحرير والتنوير (٣٤٥/١٨).

(٥) انظر: جامع البيان للطبري (٤٢٥/١٧)، الجامع للقرطبي (٣٩٢/١٥).

(٦) انظر: تفسير يحيى بن سلام (٤٨٠/١).

(٧) انظر: تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٣/ ٢٥٩).

وذكر الفخر الرازي[١] وابن عاشور[٢] ابن عثيمين[٣]: أن المراد بهذه الجملة: **التسلية**، ووجه هذه التسلية: أن النبي ﷺ لما أكثروا عليه الاعتراضات والتعنت، ضاق صدره بما يقولون، فأخبره الله ﷻ بأن ما لقيه من بعض قومه، هو سنة من سنن الأمم مع أنبيائهم عليهم السلام، والعاقبة للمتقين.

لذا قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «يُوطِّن محمداً ﷺ أنه جاعل له عدواً من المجرمين، كما جُعل لمن قبله»[٤]؛ وقال أبو حفص النسفي رحمه الله : : « أي: وكما جعلنا لك يا محمد أعداءً مِن المشركين، مجتمعين على عداوتِكَ، يَسألونك الآياتِ المقترحةَ، ويصوِّرونَ عند أصحابِهم أنك عاجِزٌ عن الإتيان بها، فكذلك جعلنا لكلِّ نبي عدوًّا، وهذه **تسليةٌ** له **وتعزية**»[٥].

ففيه من التسلية: أن الله ﷻ يخبر نبيه ﷺ أنك لم تنفرد بما تلقى من أذى المشركين، فقد لقي إخوانك الرسل مثلما لقيت، فاصبر لما أصابك، كما صبر أولو العزم[٦]، قال قتادة رحمه الله: «إن الرسل قد لقيت هذا من قومها قومها قبلك، فلا يَكْبُرَنَّ عليك»[٧].

ثم خُتمت الآية بتسلية عظيمة، وهي قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ {الفرقان:٣١} أي: مهما اشتد عداء المجرمين لك،

---

(١) انظر: التفسير الكبير (٢٤/٤٥٥).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (١٩/١٧).

(٣) انظر: تفسير سورة الفرقان لابن عثيمين (ص١٠٧).

(٤) رواه الطبري في "جامع البيان" (١٧/٤٤٥).

(٥) التيسير في التفسير (٦/ ١٨٦).

(٦) انظر: جامع البيان (١٧/٤٤٤)، تفسير ابن كثير (٦/٢٥٥١).

(٧) رواه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٨/٢٦٨٨).

فسيكفيك ربك، وكفى به سبحانه هادياً لك وللمؤمنين، ونصيراً لكم على أعدائكم(١).

ولا مانع من أن يكون في هذه الجملة ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ : بشارة وتسلية للنبي ﷺ بوعده بهدايةِ كثيرٍ ممن هم معرضون عنه، كما قاله ابن عاشور رحمه الله (٢).

ومن التسلية الواقعة في هذا الشأن: أن القرآن لم يقتصر على ذكر مشابهته ﷺ لإخوانه الأنبياء من قبله، بل أشار إلى مزيد العناية والتفضيل الذي ناله نبينا محمد ﷺ ، فقد ذكر ابن كثير رحمه الله أن المشركين لما اعترضوا على نزول القرآن منجماً، واقترحوا نزوله جملة واحدة، كما أنزلت كتب الأنبياء السابقين، أجابهم الله سبحانه بأنه أنزله مفرقاً، ليثبت به قلب النبي ﷺ ؛ ثم قال ابن كثير رحمه الله : «في هذا اعتناء كبير، لشرف الرسول ﷺ ، حيث كان يأتيه الوحي من الله بالقرآن صباحا ومساء...»(٣)، وتأمل الترابط بين هذه الآية والآية الأولى، إذ تشيران إلى تشريف الرسول ﷺ .

وكذلك من التسلية هنا: أن الله ﷻ هو الذي قص على نبينه ﷺ معاناته مع قومه، وهذا فيه معنى لطيف، وتسلية جميلة، فإن في شكاية النبي ﷺ إلى ربه، وذكر حالته له، سلوة عظيمة، توجبها لذة المناجاة، فإذا كان المخبر هو الله ﷻ، وهو الذي قصّ عليه ﷺ، ما كان يلاقيه من قومه=كان أوجب للسّلوة، وأقرب من الأنس. كما أشار إلى ذلك القشيري

(١) انظر: تفسير يحيى بن سلام (٤٨٠/١).
(٢) انظر: التحرير والتنوير (١٨/١٩).
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٢٥٥٢/٦).

رحمه الله [١].

المظهر الثامن: الإشارة إلى بعض قصص الأمم السابقة:

لما قال الله ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ {الفرقان:٣١} أعقبه بذكر أمثلة على ذلك، فأشار إلى قصة موسى وهارون ونوح عليهم السلام، وقصة عاد وثمود وأصحاب الرس، ثم قال سبحانه: ﴿ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ ﴾ {الفرقان:٣٨} أي: ودمّرنا بين أضعاف هذه الأمم، التي ذكرناها لكم، أمماً كثيرة[٢]، ثم قال سبحانه: ﴿ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ ﴾ {الفرقان:٣٩} أي: إن كل هؤلاء الأقوام ضربنا لهم الأمثال ليهتدوا، فلم يهتدوا، فأهلكناكم هلاكاً عظيماً[٣].

ووجه التسلية للرسول ﷺ والمؤمنين: بيان عاقبة المكذبين للرسل.

قال القشيري رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿ فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ ﴾ {الفرقان:٣٦}: «أي: فذهبا، فجحد القوم، فدمرناهم تدميراً، أي: أهلكناهم إهلاكا، وفي ذلك **تسلية** للنبي ﷺ، فيما كان يقاسيه من قومه، من فنون البلاء، ووعد له بالجميل، في أنه سيهلك أعداءه كلّهم»[٤].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: «هؤلاء القرون العظيمة الكثيرة كلها

(١) لطائف الإشارات (٦٣٧/٢).
(٢) انظر: جامع البيان (٤٥٥/١٧).
(٣) انظر: المحرر الوجيز (٢٩٥/٧).
(٤) لطائف الإشارات (٢/ ٦٣٦).

أهلكها الله ﷻ، بتكذيبها لرسلهم، أفلا يكون قادراً على أن يهلك المكذبين للرسول ﷺ ؟ بلى، هو قادر عليه، وهذا هو الذي حصل، لكن الله تعالى جعل إهلاك أعداء الرسول ﷺ على يد الرسول ﷺ ... ولهذا إذا هلك عدوك على يدك، كان أشفى لك، وأشد سروراً وفرحاً»[١].

ففي هذه القصص: مواساة وتسلية للنبي ﷺ وللمؤمنين لا سيما الدعاة[٢]، وقد تحققت آثارها بعد ذلك، ولله الحمد، ولذا اختار ابن عاشور رحمه الله أن آيات الوعيد للكفار في هذه السورة تفيد تسلية النبي ﷺ فقال عند قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ٣٤﴾ {الفرقان:٣٤} «استئناف ابتدائي **لتسلية** الرسول ﷺ ولوعيد المشركين وذمهم»[٣]، وقال عند قوله تعالى: ﴿فَقُلۡنَا ٱذۡهَبَآ إِلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرۡنَٰهُمۡ تَدۡمِيرٗا ٣٦﴾ {الفرقان:٣٦} : «لما جرى الوعيد **والتسلية** بذكر حال المكذبين للرسول ﷺ ، عطف على ذلك تمثيلهم بالأمم المكذبين رسلهم، ليحصل من ذلك موعظة هؤلاء، وزيادة **تسلية** الرسول ﷺ، والتعريض بوعده بالانتصار له»[٤].

(١) تفسير سورة الفرقان لابن عثيمين(ص١٤٧).
(٢) انظر: تفسير سورة الفرقان لابن عثيمين (٢٥٧).
(٣) التحرير والتنوير (٢٣/١٩).
(٤) التحرير والتنوير (٢٥/١٩).

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد، ففي ختام هذا البحث، ظهر لي عدد من النتائج والتوصيات، أجملها فيما يلي:

أهم النتائج:

١. وظف الباحث بحثه بما يبرز المقصد الأكبر لهذه السورة ويؤكد عليه، سالكاً منهج الاستقراء والاستنباط، وأورد من كلام المفسرين ما يؤيد ذلك.

٢. استعمل المفسرون في هذا الباب أربع مفردات، وهي التسلية والسلوة والمواساة والتعزية، وأكثرها استعمالاً: التسلية؛ وربما جمع بعضهم بينها: فقال: «هذه الآية فيها تعزية وتسلية».

٣. أكثر من أشار إلى "مقصد التسلية" في آيات"سورة الفرقان": هو الطاهر ابن عاشور رحمه الله.

٤. تعددت المظاهر التي سلى الله ﷻ وواسى بها رسوله ﷺ والمؤمنين، ومنها ما هو ظاهر جداً، ومنها ما يحتاج إلى دراسة واستنباط.

٥. ظهر من خلال هذا البحث أن أعظمها: هو الحديث عن الله ﷻ وما له من أسماء حسنى، وصفات عُلى، وتدبر الآيات الواردة في ذلك.

٦. جميع آيات سورة الفرقان خدمت المقصد الأعظم للسورة.

٧. شدة حاجة المسلمين لتعليمهم ما يسليهم ويواسيهم، ويثبتهم على دينهم، لاسيما حال ضعفهم، واشتداد غربتهم.

أهم التوصيات:

١. انفردت سورة الفرقان بتكرار لفظة "تبارك" المتضمنة صفة البركة لله ﷻ، ثلاث مرات، ومنه يقترح الباحث: دراسة صفات الله ﷻ الأكثر وروداً في كل سورة، والبحث عن مناسبة ذلك، كصفة القدرة في "سورة البقرة" مثلاً.

٢. دراسة التسلية الواردة في قصة نبي من الأنبياء، كقصة موسى عليه السلام.

٣. دراسة التسلية في تفسير معين، كتفسير التحرير التنوير للطاهر ابن عاشور.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع:

ابن أبي حاتم، عبدالرحمن بن محمد. (١٤١٩). تفسير القرآن العظيم. ط٣. مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى الباز.

ابن أبي زمنين، محمد بن عبد الله. (١٤٢٣). تفسير القرآن العزيز. القاهرة. دار الفاروق الحديثة.

ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري. (١٤٢٥). النهاية في غريب الحديث. ط٣. الدمام: دار ابن الجوزي

ابن الأنباري، محمد بن القاسم. (١٤٢٤). الزاهر في معاني كلمات الناس. ط٣. دمشق: دار البشائر.

ابن الجوزي. عبدالرحمن بن علي. (١٤٠٧). زاد المسير. ط٤. بيروت: المكتب الإسلامي.

ابن القيم. محمد بن أبي بكر. (١٤٣٢). مفتاح دار السعادة. مكة المكرمة: دار عالم الفوائد.

ابن القيم. محمد بن أبي بكر. (١٤٤١). مدارج السالكين. ط٢. الرياض. دار عطاءات العلم. الرياض.

ابن تيمية. أحمد بن عبدالحليم. (١٤٢١). اقتضاء الصراط المستقيم. ط٨. الرياض. مكتبة الرشد.

ابن تيمية. أحمد بن عبدالحليم. (١٤٢٣). مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.

ابن حجر. أحمد بن علي. (١٣٨٠). فتح الباري بشرح البخاري. مصر. المكتبة السلفية.

ابن حنبل. أحمد بن محمد بن حنبل.(١٤٢٦). المسند. إشراف د.عبدالله التركي. ط٢. بيروت. مؤسسة الرسالة.

ابن دريد. محمد بن الحسن.(١٩٨٧). جمهرة اللغة. بيروت. دار العلم

للملايين.
ابن عاشور. محمد الطاهر. التحرير والتنوير. تونس: دار سحنون.
ابن عثيمين. محمد بن صالح.(١٤٣٦). تفسير سورة الفرقان. القصيم. مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية.
ابن عطية. عبدالحق بن عطية الأندلسي. (١٤٢٣). المحرر الوجيز. بيروت. دار ابن حزم.
ابن فارس. أحمد بن فارس.(١٤٢٠). معجم مقاييس اللغة. بيروت. دار الجيل.
ابن منظور. (١٣٠٠). محمد بن مكرم. لسان العرب. بولاق: المطبعة الأميرية.
أبو السعود. محمد بن محمد العمادي.(١٤١٤). إرشاد العقل السليم. ط٤. بيروت. دار إحياء التراث.
الأصفهاني، الراغب الاصفهاني. (١٤٢٣). مفردات القرآن. ط٣. دمشق. دار القلم.
الألباني. محمد ناصر الدين.(١٤٢١). صحيح الترغيب والترهيب. الرياض. مكتبة المعارف.
الباقلاني. محمد بن الطيب.(١٤٢٢). الانتصار للقرآن. عمّان. دار الفتح.
البغوي. الحسين بن مسعود. (١٤٢٧). معالم التنزيل. ط٢. الرياض. دار طيبة.
البقاعي. إبراهيم بن عمر. (١٤٠٨). مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور. الرياض. مكتبة المعارف.
البقاعي. إبراهيم بن عمر. (١٤٢٤). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. ط٢. بيروت. دار الكتب العلمية.
البلخي. مقاتل بن سليمان. (١٤٢٣). تفسير مقاتل بن سليمان. بيروت.

دار إحياء التراث. ١٤٢٣هـ.

بللو. د.آدم بللو. جهود العلماء في الكشف عن مقاصد القرآن وموضوعاته. بحث منشور في موقع مركز تفسير للدراسات القرآنية على الرابط https://cutt.us/CkyjL

البيضاوي. عبد الله بن عمر. (١٤١٨). أنوار التنزيل. بيروت. دار إحياء التراث.

الثعلبي. أحمد بن محمد. (١٤٣٦). الكشف والبيان عن تفسير القرآن. جدة. دار التفسير.

الرازي. محمد بن عمر. (د.ت). التفسير الكبير. بيروت. دار إحياء التراث.

الزبيدي. محمد مرتضى الحسيني. (٢٠١١). تاج العروس. بيروت. دار صادر.

الزمخشري. محمود بن عمر. (١٤٢٩). الكشاف. بيروت. دار الكتاب العربي.

السريح. فايز بن سياف. (١٤٤٢). معالم السور. ط٥. الرياض. دار الحضارة.

السعدي. عبدالرحمن بن ناصر. (١٤٤٤). تيسير الكريم الرحمن. ط٣. الرياض. دار الميمان.

الشاطبي. إبراهيم بن موسى. (١٤٢٧). الموافقات. ط٢. القاهرة. ابن عفان.

الشنقيطي. محمد الأمين بن محمد المختار. (١٤٢٦). أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. الرياض. دار عالم الكتب.

صافي. محمود صافي. (١٤١٦). الجدول في إعراب القرآن. ط٣. دمشق. دار الرشيد.

الطيار. د.مساعد بن سليمان. (١٤٢٧). المحرر في علوم القرآن. الدمام.

ابن الجوزي.

الطيبي. الحسين بن عبدالله. (١٤٣٤). فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب . دبي. جائزة دبي الدولية. ١٤٣٤هـ.

الفالح. محمد بن عبدالعزيز. (١٤٣٣). المكي والمدني. الرياض. دار التدمرية.

القشيري. عبد الكريم بن هوازن. (د.ت). لطائف الإشارات. مصر. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

مسلم. مسلم بن الحجاج القشيري. (١٤٣٣). صحيح مسلم. بيروت. دار طوق النجاة. ١٤٣٣هـ.

النسفي. عمر بن محمد. (١٤٤٠). التيسير في التفسير. إسطنبول: دار اللباب.

النيسابوري. أبو القاسم محمود بن أبي الحسن. (١٤١٥). إيجاز البيان عن معاني القرآن بيروت. دار الغرب الإسلامي.

الواحدي. علي بن أحمد الواحدي. (١٤٣٠). البسيط. الرياض. جامعة الإمام.

يحيى. يحيى بن سلام. (١٤٢٥). تفسير يحيى بن سلام. بيروت. دار الكتب العلمية.

References :

abn aby 7atm ،3bdalr7mn bn m7md. (1419). tfsyr al8ran al3zym. 63. mka almkrma: mktba nzar ms6fy albaz.

abn aby zmnyn ،m7md bn 3bd allh. (1423). tfsyr al8ran al3zyz. al8ahra. dar alfaro8 al7dytha.

abn alathyr ،almbark bn m7md algzry. (1425). alnhaya fy ghryb al7dyth. 63. aldmam: dar abn algozy

abn alanbary ،m7md bn al8asm. (1424). alzahr fy m3any klmat alnas. 63. dmsh8: dar albsha2r.

abn algozy. 3bdalr7mn bn 3ly. (1407). zad almsyr. 64. byrot: almktb al eslamy.

abn al8ym. m7md bn aby bkr. (1432). mfta7 dar als3ada. mka almkrma: dar 3alm alfoa2d.

abn al8ym. m7md bn aby bkr. (1441). mdarg alsalkyn. 62. alryad. dar 36a2at al3lm. alryad.

abn tymya. a7md bn 3bdal7lym. (1421). a8tda2 alsra6 almst8ym. 68. alryad. mktba alrshd.

abn tymya. a7md bn 3bdal7lym. (1423). mgmo3 ftaoy shy5 al eslam abn tymya.

abn 7gr. a7md bn 3ly. (1380). ft7 albary bshr7 alb5ary. msr. almktba alslfya.

abn 7nbl. a7md bn m7md bn 7nbl.(1426). almsnd. eshraf d.3bdallh altrky. 62. byrot. m2ssa alrsala.

abn dryd. m7md bn al7sn.(1987). gmhra allgha. byrot. dar al3lm llmlayyn.

abn 3ashor. m7md al6ahr. alt7ryrwaltnoyr. tons: dar s7non.

abn 3thymyn. m7md bn sal7.(1436). tfsyr sora alfr8an. al8sym. m2ssa alshy5 m7md bn sal7 al3thymyn al5yrya.

abn 36ya. 3bdal78 bn 36ya alandlsy. (1423). alm7rr alogyz. byrot. dar abn 7zm.

abn fars. a7md bn fars.(1420). m3gm m8ayys allgha. byrot. dar algyl.

abn mnzor. (1300). m7md bn mkrm. lsan al3rb. bola8: alm6b3a alamyrya.
abo als3od. m7md bn m7md al3mady.(1414). ershad al38l alslym. 64. byrot. dar e7ya2 altrath.
alasfhany ،alraghb alasfhany. (1423). mfrdat al8ran. 63. dmsh8. dar al8lm.
alalbany. m7md nasr aldyn.(1421). s7y7 altrghybwaltrhyb. alryad. mktba alm3arf.
alba8lany. m7md bn al6yb.(1422). alantsar ll8ran. 3mّan. dar alft7.
albghoy. al7syn bn ms3od. (1427). m3alm altnzyl. 62. alryad. dar 6yba.
alb8a3y. ebrahym bn 3mr. (1408). msa3d alnzr ll eshraf 3la m8asd alsor. alryad. mktba alm3arf.
alb8a3y. ebrahym bn 3mr. (1424). nzm aldrr fy tnasb alayatwalsor. 62. byrot. dar alktb al3lmya.
albl5y. m8atl bn slyman. (1423). tfsyr m8atl bn slyman. byrot. dar e7ya2 altrath. 1423h-.
bllo. d.adm bllo. ghod al3lma2 fy alkshf 3n m8asd al8ranwmodo3ath. b7th mnshor fy mo83 mrkz tfsyr lldrasat al8ranya 3la alrab6 https://cutt.us/ckyjl
albydaoy. 3bd allh bn 3mr. (1418). anoar altnzyl. byrot. dar e7ya2 altrath.
alth3lby. a7md bn m7md. (1436). alkshfwalbyan 3n tfsyr al8ran. gda. dar altfsyr.
alrazy. m7md bn 3mr. (d.t). altfsyr alkbyr. byrot. dar e7ya2 altrath.
alzbydy. m7md mrtdy al7syny. (2011). tag al3ros. byrot. dar sadr.
alzm5shry. m7mod bn 3mr. (1429). alkshaf. byrot. dar alktab al3rby.
alsry7. fayz bn syaf. (1442). m3alm alsor. 65. alryad. dar al7dara.

als3dy. 3bdalr7mn bn nasr. (1444). tysyr alkrym alr7mn. 63. alryad. dar almyman.

alsha6by. ebrahym bn mosy. (1427). almoaf8at. 62. al8ahra. abn 3fan.

alshn8y6y. m7md alamyn bn m7md alm5tar. (1426). adoa2 albyan fy eyda7 al8ran bal8ran. alryad. dar 3alm alktb.

safy. m7mod safy. (1416). algdol fy e3rab al8ran. 63. dmsh8. dar alrshyd.

al6yar. d.msa3d bn slyman. (1427). alm7rr fy 3lom al8ran. aldmam. abn algozy.

al6yby. al7syn bn 3bdallh. (1434). fto7 alghyb fy alkshf 3n 8na3 alryb . dby. ga2za dby aldolya. 1434h–.

alfal7. m7md bn 3bdal3zyz. (1433). almkywalmdny. alryad. dar altdmrya.

al8shyry. 3bd alkrym bn hoazn. (d.t). l6a2f al esharat. msr. alhy2a almsrya al3ama llktab.

mslm. mslm bn al7gag al8shyry. (1433). s7y7 mslm. byrot. dar 6o8 alngaa. 1433h-.

alnsfy. 3mr bn m7md. (1440). altysyr fy altfsyr. es6nbol: dar allbab.

alnysabory. abo al8asm m7mod bn aby al7sn. (1415). eygaz albyan 3n m3any al8ran byrot. dar alghrb al eslamy.

aloa7dy. 3ly bn a7md aloa7dy. (1430). albsy6. alryad. gam3a al emam.

y7yy. y7yy bn slam. (1425). tfsyr y7yy bn slam. byrot. dar alktb al3lmya.